

المجلد: 09 / العدد: 01 جوان (2025)، ص.ص 339-347.

مقاربة نقدية سوسيوثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة
"رواية جيم لسارة التمس أنموذجا"

A critical socio-cultural approach to the contemporary Algerian novel "Jim s novel by Sarah Al-nems as an example"

أ.د. نادية موات
mouatsnadia@univ-guelma.dz
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
(الجزائر)

نوال براهمي*
brahimi.naouel@univ-guelma.dz
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
(الجزائر)

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/02/16

تاريخ الاستلام: 2025/01/04

ملخص:

تعملنا الكتابة بالمتغير أداة، وفكرا، ومرجعيات، إلى فضاءات جديدة في عوالم السرد بناء، وإيجاء استحدثها نسق النسوية بتطلعاته الإيتية، والسوسيوثقافية المناهضة لإكراهات الوجود الذاتي، ولإبدالاته الهوياتية على تباين أبعادها الدلالية في النص السردي الجزائري المعاصر. من هذا التوجه تهدف هذه الورقة البحثية إلى تقصي الأنساق النصية المضمرة المشكّلة في ما وراثيات المحكي الروائي الجزائري المعاصر من خلال تقديم إضاءة تحليلية في بعض الاصطلاحات، والمفاهيم المركزية المؤتسة للأقنعة الثقافية في رواية "جيم" لسارة التمس، فكيف تجلّت الأنساق النصية المضمرة في الرواية المنتخبة، وما هي أبرز أبعادها الثقافية، والاجتماعية؟

كلمات مفتاحية: النسق، المضمّر، الثقافة، مقارنة، الرواية الجزائرية المعاصرة.

Abstract:

Writing with the variable as a tool, thought, and reference takes us to new spaces in the narrative worlds created by the feminist system with its contemporary and socio-cultural aspirations that oppose the coercions of self-existence and its identity substitutions despite their varying semantic dimensions in the contemporary Algerian narrative text.

Hence, this research paper aims to investigate the textual patterns implicit in the metaphysics of the contemporary Algerian narrative narrative by providing analytical illumination on some of the conventions and central concepts that establish the cultural masks in the novel "Jim" by Sarah Al-Nems, How were the implicit textual patterns revealed in the selected novel, and What are its most prominent cultural, social dimensions?

Keywords: implicit; pattern; culture; connotation; contemporary Algerian novel.

مقدمة:

إنَّ عملية استنطاق مضمرات النَّصِّ، وتفكيك انبئاته العميقة تتطلَّب فهمًا تأسيسيًا دقيقًا لمناورات النَّسق، وتُمَلِّص اللُّغة التي يمارسها الكاتب طوعًا، وضرورةً، فيستعرض من خلالها أمزجة الفكريِّ، والسُّوسولوجيِّ، والثَّقافيِّ مع الواقع عبر مختلف سياقات الخطابات الأدبيَّة الثَّقافيَّة.

وكواحدة من الخطابات الأدبيَّة الثَّقافيَّة تنفتح الرواية الجزائرية المعاصرة على أسئلة تضرر إجاباتها في بواطن أنساقها الثَّقافيَّة، وتنشئ عناصرها الإشارية الدَّالة من خلالها بحذر يتوزَّع على اختلاف صيغها الفكرية، وانبئاتها النَّصيَّة داخل الأثر وفق متصوِّر خاص يكشف عن رؤية الكاتب المحتجبة وراء عباءة الثَّقافيِّ، والفنِّ عن طريق الإحالة النَّسقية غير المباشرة.

وتعدُّ رواية "جيم" للرواية الجزائرية "سارة التمس" مظهرًا سرديًّا ثرا بالتفصُّل، والتجسُّد الميتا دلالي عن طريق ما مارسه الكاتبة من أنساق ثقافية حضر من خلالها المتواري بقوَّة، وجسَّد بحصافة من منظور الدَّات السَّاردة، وهي تفتش عن أطواق أمانة للتعبير عن الهمِّ السُّوسيوثقافيِّ الذي حوَّطت شباكه الدَّهنيَّة الجزائرية بقوَّة، فالت إذك في خطابها إلى تقديم إضاءة ميتا لغويَّة عن واقع الفكر، ومبادئه، وكذا واقع الأنثى، والوجود الأنثوي.

الإشكالية:

نحاول أن نؤيِّس دراستنا على فهم دقيق للتمظهرات النَّصيَّة التي يفتح عليها النَّسق عبر نشاطه الاجتماعيِّ، والثَّقافيِّ، والتفاعلي في متن المنجز، فنصوغ التساؤلات الآتية:

-عبر ماذا تُفكِّك الرُّؤية السَّردية المخبوءة وراء الأنساق المتوارية في النَّصِّ؟

-ما هي أبرز القضايا التي تحيل عليها الأنساق الخفية؟

-وكيف تشكَّلت أبعادها الثَّقافيَّة، والاجتماعيَّة، والتفاعلية في المحكي السَّردِيَّ المنتخب؟

هدف الدراسة:

تتمثَّل هدف الدِّراسة بشكلٍ رئيسٍ في تقصِّي طريقة طرح الرواية لأنساقها الثَّقافيَّة، وكيفية اشتغالها فيها بوصفها أنماطًا تعبيرية ثقافيةً منتمية إلى الإشارات السَّردية المعاصرة، وكذا تتبُّع مفاهيمها الخاصَّة التي تحضر في صلب المتن.

منهج الدراسة:

تم الاعتماد على آليات المقاربة النَّقدية السُّوسيوثقافيَّة بما تتيحه من إمكانية تحليل الأنساق الحاضرة، والمضمرة، وتفكيك دلالاتها الاجتماعيَّة، والفكريَّة، والثَّقافيَّة، وتبيين القضايا التي أضمرها الخطاب، واستطلاع تقاطعها، وسنبدًا عرض عناصر بحثنا بإضاءةٍ في جملةٍ من المفاهيم ندرجها كالآتي:

1- مفهوم النَّسق:

لغة:

النَّسق في اللُّغة ما جرى واسترسل نظامه على هياقٍ واحدةٍ ونظامٍ أحاديٍّ، ويورد "ابن منظور" في معجمه لسان العرب بأنَّ: "النَّسق من كلِّ شيءٍ: ما كان على طريقةٍ نظامٍ واحدٍ، عامٌّ في الأشياء، وقد نسَّقته تنسيقًا (...)", والاسم النَّسق¹، ويأخذ النَّسق أيضًا معنى التلاؤم يقال: "كلام نسق: متلائم على نظامٍ واحدٍ"²، فالنَّسق وتبعًا لهذا الحدِّ خاضع لتتابع وحدات اللغة ومعانيها على صورةٍ واحدةٍ مخصوصةٍ بحسن التركيب، وإتقان النَّظم.

من ناحية العرف اللُّغويِّ إذاً يعدُّ مفهوم النَّسق مفهومًا جامعًا لخواص تراتبية العناصر اللُّغويَّة، وإتقان وحداتها إثر تتاليها، وتوآؤها.

اصطلاحًا:

في اصطلاح اللُّغويين، والنُّقاد النَّسق جملة من القوانين، والصُّوابط التركيبيَّة التي يحكمها نظام لغوي، ودلالي بما داخل النسيج الضام/النَّص، وينبئه "عبد الله الغدامي" إلى أنَّ للنَّسق "قيمًا دلاليَّةً" وسِمات اصطلاحية خاصَّة³، تتأسك، وتتشكَّل أبعادها على نظامٍ مخصوص؛ يتكوَّن النَّسق وفقًا لهذا الاصطلاح من بنيات نصِّيَّة، أو خطابيَّةٍ موحَّدة، ومتشابهةٍ تظهر بتمظهرات تقنيَّةٍ شكليَّةٍ متعدِّدة، ومتنوّعة، ومتكرِّرة، نمطيَّة، ومبتكرة في آنٍ⁴ تتيحها الجزئيات

المتموّدة في سياق بعينه والمتواشجة فيما بينها عن طريق عناصر خاصّة تتضام، وتتعلق في حركة يمكن الكشف عن نظامها، وملاحظته لتكون في الأخير ما يصطلح عليه بالبنية⁵، وهو المفهوم الذي ارتبط به النّسق في الأطاريح البنوية فحسب "لني شتراوس" البنية هي مرادف للنّسق إذ يتألفان من عناصر متحوّلة، أو ينجرّ عليها تحوّل باقي العناصر المجاورة لها⁶.

ويرى "محمد مفتاح" أنّ للنّسق وجود مميّز، ووظيفة محدّدة في المجتمع لا يؤديها غيره من الأنساق تتكوّن حينما يتعارض نظامان/نسقان داخل الخطاب الجماليّ أحدهما معلن، والآخر مضمّر، ويكون الثّاني ناسخاً، وناقضاً للأوّل.

2- البعد الثقافي للنّسق اللّغويّ:

لا محالة أنّ البحث النّقدّي من المنظور الثقافيّ وصّح في منهجيات الطّرح المعاصر أنّ النّسق يكتسي قيمته الثقافيّة ممّا يهض به النّسيج اللّغويّ الصّام؛ من جزيئات بنيائيّة ذات مرجعيّات دينيّة، وفكريّة، وإيديولوجيّة، ومعرفيّة، واجتماعيّة تتشكّل على شاكلة أفعال، واستجابات في المتن الروائيّ، وعادةً "يتحدّد النّسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد"⁷ استناداً إلى مكونات ثقافيّة عناصرها متدرّجة، ومراتبه وأياً كانت أصنافها، ودرجاتها تعود إلى أصلها الخاصّ داخليّاً وخارجيّاً⁸، وتعدّ حالة الكمون المفعّ التي تضطلع بها عناصر الثقافة أدبيّاً، المنتجة (لأنساق شبيهة بكمياء الخلايا إذ وعن طريق كميّات انتظام علاقات النّسق الخارجية فقط باستطاعتنا التعرّف على باطن النّسق وتفكيك إجماعه، وتحديد مخرجاته الدّلاليّة⁹؛ ولأنّ البعد الثقافيّ للنّسق ينبني عن طريق تراص لعناصر الثقافة المتفاعلة فيما بينها نصّياً من نحو العادات، والأعراف، والأخلاق، والفنون، والمعتقدات الدينيّة وغيرها، يقترح "ليتش" مفهوم الأنظمة العقلية، واللاعقلية، حيث يطرحه كمفهوم بديل للأنظمة العقلية، واللاعقلية لمصطلح أيديولوجيا، وتبعاً لذلك فإنّ لأنساق أبعادها الثقافيّة منها "أنساق الأفكار والمعتقدات، أنساق الرّموز التعبيريّة، أنساق التوجيه القومي، وهي وحدات أو أنساق فرعيّة تحقّق تكاملاً على مستوى الكلّ الثقافيّ"¹⁰ بعد التوسّط والفرعية؛ ذاك أنّ "النّسق الثقافيّ يقع في منطقة وسطى بين البناء الاجتماعيّ، والبنية الكامنة في العقل الإنسانيّ، وذلك لجمعه بين وظيفة التفسير والاستيعاب للتجربة الإنسانية من جهة، وبين وظيفة التأثير والتحكّم في سلوك الأفراد من جهة أخرى"¹¹، ومن ثمة فإنّ "النّسق الأدبي العربي لا يمكن دراسته إلا انطلاقاً من داخله؛ أي من القيم والأشكال التي يحاول ترسيخها"¹²، وتبنيها عبر صيغه المضمرّة، وأقنعتة الدّلاليّة المتحابلة.

3- اللّغة المضمرّة في المحكي الروائيّ: (التمثّلات، والأبعاد)

لعلنا لا ننافي الصّواب ونجانبه إن نحن أقررنا بأنّ الرواية تستهدف إمكانيات اللّغة غير المباشرة في نقل صوت الكتّاب، وتصوير حقائق العوالم، وتجسيد معاناة الذات، والمفكّرة العربيّة عبر أنساق ثقافية تخرق المسكوت عنه فتميط اللثام عن واقع المجتمعات العربيّة.

ولأنّ المضمر من اللّغة هو الخفيّ والمستتر، فـ "الصّاد والميم والرّاء أصلان صحيحان: على دقّة في الشّيء، والآخر يدلّ على غيبة وتسرّ"¹³ دقّة غير ظاهرة للعيان تحتاج إلى تنقيب داخل حدود النّصّ، وبناءً على أنّ "الأنساق الثقافيّة هي مجموعة من الأدوات الرّمزية التي تتحكّم في سلوك أفرادها، أو هي مجموعة من ميكانزمات الضبط والتحكّم"¹⁴ تميل اللّغة المضمرّة بكلّ أنماط تجليها الخفيّ، وأشكال حضورها الثقافيّ غير المباشر في الرواية، أن تدبّر بعباءة الدينيّ، والتاريخيّ، والاجتماعيّ، ففي التمثّل الثقافيّ ببعده الدينيّ يستبصر النّسق اللّغويّ في مسارات السردّ سيرورة الدّلالة الخطائية -في الممارسات الثقافيّة للغة الأدبيّة- عبر مراحل تاريخية منجزة بعيداً عن المادية الثقافيّة وما تنصّ عليه من ضرورة تكريس الوساطات المنهجية في المقاربة التاريخية للمنتجات الأدبيّة، والابتعاد بها عن نسقها الثقافيّ البحت. ففي التمثّل الثقافيّ ببعده التاريخيّ وعن طريق المضمرات اللّغويّة يصبح المحكي الروائيّ وثيقة تاريخيّة، ومادة توثيق تاريخيّ، إذ ينفخ على أنساق مشفّرة محمولها الدّلاليّة؛ كون "الأنساق الثقافيّة تاريخيّة أدبيّة وراسخة ولها الغلبة دائماً، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافيّ المنطوي على هذا النّوع من الأنساق"¹⁵ الخطائية، فتشفر التاريخ وتؤسب أنساقه.

ومن ناحية التمثّل الثقافيّ ببعده الاجتماعيّ أيضاً تمرّ المضمرات النّسقية -عن طريق الممارسات الاجتماعيّة التي يتحوّل بموجبها الخطاب من الهامشيّ في الواقع الاجتماعيّ إلى المركزيّ في النّصّ الأدبيّ- عقائد، وأهداف خطائية تتوحّد

لتشكيل في عموميتها سياقات الفكر التي تخضع لها هرميات الذات، والمجتمع على تباين متغيراتها لدى الفاعلين المنوطين بأدوار، وعلاقات محدّدة مسبقاً داخلها.

وكذا في التمثيل الثقافي ببعده الذاتي، والحضاري تتوحد اللغة المشققة، حين يكون النسق الثقافي المعن معادلاً موضوعياً للوجود الداخلي، والخارجي المبطن في النص، لتحملنا إلى عوالم مغايرة للسائد، عوالم تنكشف تناقضات الإنساني من خلالها، وتتجاذب الأنساق عبر تمثيلاتها السوسيو-ثقافية تجاذباً إسقاطياً شاملاً.

وتمر توظيفات اللغة المضمرة في النسق الثقافي عبر أنظمة أيديولوجية، واستيمولوجية تكشف عن مرجعيات الكاتب وخلفيات تشكيله لعناصره الخطائية المتحركة في فكره بعيداً فرداً من المجتمع، وظلاً له يعكس كفاءات انتظام، وبناء هرمياته، ومؤسّساته.

4-سوسيو-بنائية النسق الثقافي في رواية "جيم":

إنّ عملية تكسير نمطية الأنساق الثقافية سوسيو-بنائية في رواية "جيم" إنّما تختبر عن طريقها الكاتبة وضعية الأعراف، والفكر، والذات اتجاه الثقافة، إذ تدخل الأنساق الثقافية المضمرة في تحديد الهوية، والكفاءة النصية في المنجز من خلال مؤشر القابلية على الانفتاح الدلالي الذي يعتمده السرد آلية استراتيجية في تشكيل أبعادهم، وتفاعليتهم مع العالم الخارجي أيضاً.

وتضارع عملية الخروج عن الشكل اللغوي الظاهر/البسيط في تركيب النسق النصي الثقافي، عملية تدوير المواد اللغوية، والانتقال بها من حالاتها الساكنة إلى مظهرات دلالية مكثفة، وأكثر دينامية، فتأزس الميتا نصية، ويُمزج الثقافي، ويؤخذ في اللغوي، ليستغل المتلقي على هذا التجاذب السقي الذي تُعقد أوصاله رحمة ما بين المباشر / الظاهر وما يستلزمه من خبايا في بواطنه بالمقروئية الفاحصة، وبالتأويل الاستبطاني، وقد تجسّدت نسقية التجاذب في رواية "جيم" كالآتي:

4-1- التنازع السقي وتجادب الأنظمة الظاهرة والباطنة:

إنّ ازدواج أنساق التعبير يحدّد "وعينا باللغة ذاتها وبفعلها معنا وفينا بمعنى أنّ الخطاب يحمل بعدين أولين أحدهما حاضر مائل في الفعل اللغوي المكشوف، (...) أمّا البعد الآخر فهو البعد الذي يمسّ المضمر الدلالي للخطاب، هذا المضمر الفاعل، والمحرّك الخفي الذي يتحكّم في كافة علاقاتنا مع أفعال التعبير وحالات التفاعل"¹⁶، وقد مثّلت الثنائيات المتوازنة نصياً، والمتناظرة علامتياً الأنساق الظاهرة، والباطنة في الرواية، فترواحت ما بين:

- نسق التهميش وسؤال الاستنكار:

عبر المنجز السردّي عن نسق التهميش، والاستنكار عبر مركزية السؤال التي تقاطبت من خلاله الملموسات المادية، والمحسوسات المعنوية التي تمنح السياق النصي طابعاً توثيقياً تصغفه بصيغة الإمكان؛ لأنّ فهم الإنسان لمحله من الوجود يتجدّد بالحدث لا بالفعل السلوكي؛ كون الحدث يؤسّس لظاهرة تطبع فكراً اجتماعياً تعبّر عنه الروائية بقولها على لسان البطل: "نظرة الاحتقار هذه التفور العنيف من هم مثلي لا يأتي إلا منهم .. هؤلاء القوم الذين يضعون حاجزاً غليظاً بينهم وبين قوم الطبقة الأخرى (...) لو خاطبها رجل أنيق لتعاملت معه بطريقة مختلفة"¹⁷ إنّ الموقف الذي يحمله نسق المقطع يحده المنظور الثقافي من وجهات ثلاث:

1-الاعتدائية المسبقة على الأيديولوجيات المستندة تاريخياً إلى الفكر الإقصائي.

2-التحوّل بأنساق الكتابة من المنظور الثقافي؛ من الطبقة الاجتماعية إلى الطبقة الفكرية.

3-غلبة السياقات ذات الطابع الماديّ المنبج لأنساق خطائية مجرّدة.

ويوضح نسق استنكار المثل السوسيو-فكرية الموظف عن طريق التساؤل التصورات المعيارية المستندة إلى العرف السائد، في حين يُضمّر لا معيارية الفكر، ولاقابلية الامتثال من خلال تصوير الكاتبة الضياع الهوياتي المستبان عن طريق الازدواجية التي يطرحها الاسم "جيم" المتجاذب بين الأصليين الواسم للفرع الواحد "اسمك حرف؟ هل هو اسمك الحقيقي أم أنّهم ينادونك جيم؟ هو اسمي الحقيقي الحرف المشترك بين اسم والديّ جهاد وجنّات، كان شاعراً وكانت روائية، أراداً اسماً لابنتها هذه هي حكاية اسمي التي مللت من شرحها لكل من يقابلني"¹⁸، فالاستنكار الذي ينطوي عليه فعل المسألة يُضمّر أشكال، وضوابط المعايير الفاعلة في تشكيل ثقافة الفرد في المجتمع، وتحديد أدوار،

وأحوال الفاعلين من خلال إضفاء الصبغة التقنية مجتمعياً عليهم فكراً، وعرفاً، وثقافة، ويكون تأثير هذا التوجّه جزئياً، وإيجابياً، حيث يبدأ بشعور الثُور الذي يأخذ دلالة مضمرة، للخروج عن القوانين، والمعايير التي سنّها المجتمع للفرد بحيث تصبح لا تتمتع في متصوره، وقناعاته بقيمة وجيهة تستدعي التمسك أو التحلي بها أو بمفاهيمها المركزية.

-النسقية الجندرية وثقافة المركز والهامش:

ينفتح السّنان (الذكورة)، والأنوثة) في رواية "جيم" على مفاهيم خطائية مضمرة أبعادها، واسقاطاتها الثقافية عن قصد، ووعي، تامين من الكاتبة، ففهوم القيمة -الذي تقابله عقدة التملك الذكوري للأُنثى- حدّد سلفاً للمتلقّي مرجعيات تشكّل النسق الميتا دلالي للنص، كما وتمثّل الخلفيّة العرفانية لحثيات التشعب الجنوسّي، واشكالات الكتابة الروائية بالعنصر الخفي/المضمر في إطاره، فتصورها لثقافة الجندر، والتمايز في إطار النوع وما يحكمها من تقاليد تستحيل بالضرورة عبر النسق الثقافي إلى مقدّس موروّ بفعل التّبيّ السلوكي، أو الممارسة اللامشروطة من الجنسين مدعاة لتساؤلها الصّريح: "ألم يركل منها نفسه في الآخر؟ أليس هذا وحده كافياً للفهم؟ التشابه بينهما خلق صداماً عنيقاً، لا أحد منها يتقن الاعتذار والاعتراف بأخطائه استمعنا بلعبة تعذيب بعضها بعضاً؟"¹⁹، تساؤلاً ناقشها بعمق.

فنّ التّاحية الاجتماعيّة يعتبر وجود الأُنثى في المجتمعات العربيّة من منظور الذّكر، ومركزيته العلنية فيها وجوداً هامشياً، فهو عبر التاريخ مرتبط بغريزة الرّجل، وبصفة التّقص، والضعف التي وسمت طبيعتها، والتي حوّلت له صفة الوصاية، والقوامة عليها، وكرست له بقوّة العرف المجتمعي الحقّ في تقرير مصيرها، فمنه تبدأ، وإليه ترجع، وعندّه تنتهي "ها أنا أراك تتعلمين خطواتك الأولى كطفلة أنجبها من صليبي تقف وتقع وتضحك وتهول كي تهاوى بين ذراعي"²⁰، ووفقاً لأمزجته، وأهوائه تُقدّر، أو تُهمّش "كأي رجل شرقي كانت تستغفري المرأة المتزوّدة ويكفي أن أرى سيجارة في يد إحداهن أو أراها ترتدي فستاناً قصيراً لأحكم عليها بأنّها منحلة أخلاقياً تعجبني الشابة المحجبة المؤدبة التي تسمع الكلام ولا تثير المتاعب. أبحث عن امرأة أتحمّك بها، لأنّني رجل والزّجال قوامون على النّساء"²¹ في هذا المقطع هالة كبيرة من الشّعور المتضخّم بالآية الذكوريّة إنّها الرّجولة التي تحقّق التّميز، والاختلاف، وتضع الفارق من المنظور الاجتماعي، والذاتي الجزائري، فتحتمك القدرة على الفعل، والهيمنة حسب الذّكر إلى القوامة.

وفي المقابل يرسّي الخطاب المضاد أساساته البنائية المضمرة في المحكي؛ لأنّه استلزاماً أساساً للكشف عن طبيعة تصوّر الآخر -أو الجنس الثّاني على حدّ تعبير "سجون دو بوفوار"- وأهدافه، وقد تعاطت الروائية مع هذا الطّرح من مبدأ المسلمات الوجودية في الفكر الأنثوي بعبارة تأسيسية مفادها الجدل القائم حول الوجود، والانتفاء الهوياتي، والاجتماعي بين التّوعين، والتي مؤداها قولها على لسان "جيم": "هل أنا شفاقة بما يكفي لترى نفسك من خلالي"²²، ليتصاعد الأمر إلى التعبير عن نسق التجاذب الفكري، والثّقافي بقولها: "... يريد أن يتزوّجني ليغلّفني بقماش أسود، يضعني في علبة يخرجني ويعيدني إليها كيفما شاء"²³، فالمقطع "يولد التعبير المجازي ولادة ثقافية تخضع لشروط الأنساق الثّقافية"²⁴ مجازاً كلياً يستند إلى وحدة مضمرة تمثّلها صراحة العبارة: (ليغلّفني بقماش أسود) هذا التّحديد تجسّد النسق الثّقافي الذي يكشف عن التوجّه العقائدي للخطاب في تصويره التّظرة إلى الآخر المستضعف، والمستلب ولعلّ قول الكاتبة على لسان "لمين" "إنّها ترفض حتى قول مساء الخير، وكأنّ مخاطبتي تكون خطيئة ترتكبها في حقّ نفسها"²⁵ ثنين بوضوح عن أنساق الهيمنة من جهة، فقد جرت العادة ألاّ تخيّر المرأة في المجتمعات العربيّة بين التعاطي أو اللاتعاطي مع الرّجل وهذا ما يعرض إليه المقطع، وعن المساس بسلطة الذّكرة من جهة أخرى عن طريق رفضها. ولا يتحقّق التحرّر الصّحيح إلّا من خلال عملية تنبثق من قلب المجتمع وبالتّركيز على ما يصطلح عليه: التحرّر الذاتي²⁶؛ لأنّه أساس أية فاعلية اجتماعية يخلقها الفرد على مستوى داخلي أو جماعي. يكرّسه اعتراف الآخر بها كبنوة بذاتها وهو ما أعربت عنه الكاتبة بمؤدى البطل الآتي: "امرأة قوية وذكية مثلها لن تقبل بأن يطفئ وهجها رجل شرقي يسلبها حقّها في التنفس بحجّة الحب"²⁷، وبهذا التسليم من رجل شرقي صعب الاختراق الفكريّ تضع الأُنثى أسلحتها، وتوصد أبواب معاركها ضده، وتستكين في مسيرة البحث عن التّقدير، وعن المركزية الاجتماعية المتوارية وراءها حقيقة البحث عن الذات.

نسق الوعي:

يعري نسق الوعي في رواية "جم" الطابع العمومي الجمعي للأيديولوجيات الفكرية، والسوسيو-ثقافية بعمق، ويبين عن مسلماتها المركزية الطاغية على الضمير الذاتي، والجمعي -في آن- داخل المجتمع الجزائري، فضياع الجسد في المحيط الجغرافي مثلاً في قول "لمين": "وبما أنّ شاباً إفريقياً أعزب مثلي لا حظّ له بالعيش في بلاد أوروپي، قرّرت الاختباء في ذيل هذه البلاد في أبعد مدينةٍ وآخر نقطةٍ جغرافيّةٍ فيها..مدينة صحراويّة اسمها تتراست ساعيش في صحراء قاحلة مع أناس يجهلون من أكون باللاجدوى نفسها، أعمل وأكل وأنام، وأتمدّد تحت الشّمس الحارقة علّني أموت بضربة شمس..أجل لا شيء يغريني كالانتحار، على الرّغم من(...) أنّي في لاوعي مازلت أحبّ الحياة"²⁸ هو ضياع للفكر في حقيقة الأمر تتعدى فيه اللّغة الجماليّة الوصفة مجازاً التدليل على جغرافية المكان الصّعبة القاتلة للجسد، والمهشمة للهوية الذاتيّة إلى الكشف عن نسقية الذات الواعية في لاوعيا، وعليه فشخصية "لمين" فكّر متعطّش للماء فراغه الرّوحي، والفكري، والتحوّل بمخاوفه، وانشغالاته إلى فضاءات معرفيّة كفيّلة بإمدادها بالقوّة، والثبات من خلال مقابلته بالفراغ المادي الذي تعكسه الطّبيعة، فنسق الوعي بتعقيداته جعل الفرد يتّجه نحو البوح، والتلميح المبطن بالتّقد، أكثر من السّرد، والتّصريح، "أنا رجل يخلص لكلّ الأشياء التي يحبّها لا استبدل ساعة يدي ولا نوع عطري ولا ماركة البتّ وأستمر بارتداء قميصي المفضّل حتى يبهت لونه"²⁹، ليصوّر نمطية الأيديولوجيات الفكرية، والأعراف الثّقافيّة التي تقيد الفرد، والتي تتطلّب منه التحرك صوب السّراح "قبل عشر سنوات، كنت أفكر بطريقة مختلفة. ولنقل بأنّي كنت أرى الحياة من ثقب صغير بسبب الأفكار التي تنشرّها من البيئة التي وجدنا فيها"³⁰، فدائرية النّظم البيئية، والعوامل الخارجيّة، وتأثيرها على نمط التفكير، ورؤية الفرد، وأنماط الممارسة لديه تتعدّد لتشمل زوايا ثقافيّة عامة، حيث إنّ المقطع مباشر في تبين مضمراته النّاصة على أنّ المحيطات تسيطر خيالها، وتخيّلاتها على أنساق التّموّض، والوجود الذاتي في إطار الكون الجماعي.

وفي سياق آخر يستعرض المحكي الرّوائيّ الطّابع الإجماليّ للاستعمال الثّقافيّ ذي التّفصلات الهوياتية التي تستند إلى التوظيف، والوظيفة، داخل النّصّ، وما النّسق اللغويّ سوى واحد من هذه التّفصلات من منطلق أنّ الذات السّاردة تؤمن أنّ اللّغة نسقٌ مضمّرٌ يحيل على التعددية الهوياتية على الصّعيد الاجتماعيّ، فيكشف تفوّق هويّاتٍ على حساب أخرى.

"هل تقرّين بالعربية أم بالفرنسية فقط؟

غالبا بالفرنسية لكنّي أفهم العربية جيّدا

وهل يوجد كتاب جزائريون تحبين القراءة لهم؟

لا أكذب عليك أعرف الفرونكوفونيين فقط"³¹.

فالانتصار إلى لغة الآخر يعزّز لاشعوريّاً الوعي بالذات، ويفرض عليها سياسة المقاومة كي لا تستلبّ، وتذوب في ثقافة هذا الآخر الأجنبي، وفي مكوّنات هويته اللّغة منها على وجه التّحديد من منطلق أنّ اللّسان هو الإنسان، يمثّل متصوّره، ويكشف عن حقائقه، ويعكس إشكالاته، وهذا ما جسّدته الكاتبة في النّصّ المحكي صراحة عبر أنساق مضمرة يتحدّ الما ورأي الخفي للقبّح فيها مع المعلن الممرّر للرّيف الجمالي البائن، تقول: "هم هكذا معظمهم يدرسون في مدارس خاصّة ويتحدّثون بأكثر من لغةٍ ولكنّ اللّغة الفرنسية هي لغتهم المفضّلة اللّغة التي يتنقّسون ويتعاملون بها"³²، فبقدر ما يترجم المقطع الاستلاب الرّوحي الذي تقوم اللّغة فيه مقام العقيدة، والمعاملات، -(اللّغة الفرنسية هي لغتهم المفضّلة اللّغة التي يتنقّسون ويتعاملون بها)- ينقل أيضاً المستوى العرفاني -(ويتحدّثون بأكثر من لغةٍ)- الذي يطبع ثقافة فئة من المجتمع الجزائريّ.

5-المتناهي وعبر تفاعلية النّسق الثّقافيّ في رواية "جم":

إنّ فعل التفاعل بعده آلية محيية على فاعلية المقاومة الثّقافية يوطّف التّصوّر الثّقافيّ؛ أين تتفاعل الأنساق المتجاذبة فيما بينها لتكون نسقاً جديداً وسطياً وظيفته المقاومة، والصّد نسق للتضاد السّرديّ ويعامل من الكاتبة معاملة البديل عن نسق الهيمنة، واستراتيجية للصّد الثّقافيّ على الصّعيد التّاريخي، والدّيني، والصّعيد السوسيو-ثقافيّ، والدّاني.

يتفاعل المعلن من الخطاب الروائي تاريخيًا، وثقافيًا لإنتاج الخطاب المضمر؛ فيشكل حالة من الاحتواء؛ فالسياق الثقافي للحدث يبرز المضمر التاريخي بداخله في قول الكاتبة: "بعد أحداث الربيع الأسود أصبح الناس يخرجون كل عشرين أفريل احتفالاً بالربيع الأمازيغي يلبسون ما يعبر عن ثقافتهم يغنون يتظاهرون، ويؤكدون حضورهم بل وجودهم في هذا العالم"³³، وعن طريق التفاعلات السوسولوجية، والثقافية التي تصوّر عجز الفرد عن فهم المعايير الاجتماعية وضياعه عند القيم الثقافية المشتركة بين الجماعة والتي تراعي أهدافها الاتمائية، والشخصية "نحن هنا نكتفي بمصدرنا اليتيم لتنبئ حقائق لم نتعب في الوصول إليها يقول أبأونا ما قاله لهم أبأؤهم، ونصدق ما صدّقوه ونكتفي بذلك، ونرفض قبول غيره"³⁴ تكشف الكاتبة حقيقة الضياع الوجودي باللجوء إلى التعبير عن الحيرة الوجودية "لماذا مازال الله يقيني حيًا؟ كما يبقى على الذباب والفئران والصراصير مخلوقات مزعجة يكرهها الناس ويضطرون للتواجد معها لأنهم لا يملكون القدرة على إبادة نهائيا؟"³⁵ ميتا نصية اللغة ومضمراتها السقوية على الصعيد الأنطولوجي، والشوسيو-ثقافي.

وعلى الصعيد الديني تتفاعل اللغة المضمرة مع المعطى الفكري لتبين عن هم اختلقه الإنسان ليحتج به من ضعفه، ويبرّر من خلاله جوده السلبي القابع في لاشعوره الواعي فيكشف عنه بقوله: "الناس مختلفون كل إنسان مختلف عن الآخر في ملامحه، وبصاته، ورائحته، وطباعه، وتفكيره وما يفعله الدين هو محو ذلك الاختلاف مثل فيروس يهاجم العقل، ويقتد تفكيره ليضعه في علة مغلقة فيها بابان لا ثالث لهما: واحد يؤدي إلى الجنة والآخر إلى الجحيم"³⁶ في هذا المؤدى المحكي.

وكذا على الصعيد اللاتي، حيث يميل الإنسان- إلى الإعراب عن عوالم المجتمع، ومخلفاته العرفية، والأخلاقية الهدامة لروح الفرد (كانت حكاياتي مثل فضلات سامة عالقة في الروح أرغب بطرحها بأي طريقة ممكنة علمت بأنني أبحث عن إنسان يمتلك أذنين صبورين وقلبا عرف السواد أيضا ليفهم السواد الذي لطّخ قلبي)³⁷، والمفوضة لوجوده. خاتمة:

ساهم الخطاب الروائي "جيم" في تشكيل أنساق ثقافية عميقة من حيث صيغه، واتجاهاته، وقضاياها التي جسدت بدورها هي الأخرى ظلاً أدياً موازياً للواقع الفكري، والاجتماعي، والثقافي، وتفاعلت مع أحداثه بناءً، وإيجاءً، ومن جملة النتائج المتوصل إليها في البحث نذكر الآتي:

- تتمثل الأنساق المضمرة عبر اللغة أنظمة مخصوصة تحولت بالخطاب من الأدبية الجمالية إلى السلطة النقدية الثقافية.
- يفتح اصطلاح النسق بعده مفهوماً، وقيمة نصية ثقافية على أبعاد خطائية، ودينية، وتاريخية، واجتماعية، وذاتية؛ بمعنى أنّ النسق اللغوي يعكس الثقافة من خلال المعرفي، والفلسفي، وكذا الفكري.
- مالت الأنساق الثقافية المضمرة والمصطفاة من الكاتبة في أحد أوجهها النصية إلى تعرية العقلية الذكورية المتضادة مع الوجود الطبيعي للأشئ من منظور عتية مخصوصة تحيل على منظور المجتمع الجزائري ككل.
- الأنساق الثقافية في رواية "جيم" منتجة من قبل منظومة لا من قبل متخيّل الذات الراوية.
- لم تسجل رواية "جيم" من ناحية توظيفها المعلن أية نقلة سواء من حيث الوظيفة، أو الإجراء في حين وُظفت في الوجه المضمر بميكانيزمات بنائية مفتحة حققت تعلق الأدلة اللغوية عن طريق أنساقها الموضوعية لها، وتوليدها دلالات جديدة متحوّرة بخرقها لمصورها الذهني المباشر/الأول لدى القارئ.

- قائمة الإحالات

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف-القاهرة، ط1، دت، ص4412. مادة (نسق)

² إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، مجمع اللغة العربية، ط2، ص919. مادة (نسق)

³ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء-المغرب، ط3، 2005، ص77.

⁴ عز الدين المناصرة، علم التناس والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، الهيئة العامة لقصور الثقافة-القاهرة، ط1، 2011، ص42. (بتصرف)

- ⁵-نعيمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب(دراسة معجمية)، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2009، ص140. (بتصرف)
- ⁶- عز الدين المناصرة، علم الشعريات(قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجلاوي، عمان، ط1، 2007، ص540.
- ⁷- عبد الله الغزالي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافي، ص77.
- ⁸- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، دط، دت، ص29.
- ⁹- يوسف محمود عليات، النقد النسقي(تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص21. (بتصرف)
- ¹⁰- محمد عبد المعبود مرسى، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي "دراسة تحليلية نقدية"، مكتبة العليقي الحديثة، القصيم، ط1، 2001، ص92.
- ¹¹- نادر كاظم، تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص95.
- ¹²- أحمد يوسف، القراءة النسقية(سلطة البنية و وهم المحاينة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص405.
- ¹³- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، تخ: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص371. مادة (ضمر)
- ¹⁴- نادر كاظم، تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)، ص97.
- ¹⁵- عبد الله الغزالي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ص79.
- ¹⁶- المرجع السابق، ص(68-69).
- ¹⁷- سارة النمى، جيم، دار الآداب، دط، 2020، ص22.
- ¹⁸-المصدر نفسه، ص28.
- ¹⁹-المصدر نفسه، ص90.
- ²⁰-المصدر نفسه، ص89.
- ²¹- المصدر نفسه، ص(93-94).
- ²²- المصدر نفسه، ص88.
- ²³- المصدر نفسه، ص88.
- ²⁴- عبد الله الغزالي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ص67.
- ²⁵-سارة النمى، جيم، ص21.
- ²⁶- شرابي هشام، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، البار المتحدة للنشر، بيروت-لبنان، ط3، 1984، ص31.
- ²⁷-سارة النمى، جيم، ص88.
- ²⁸-المصدر نفسه، ص9.
- ²⁹-المصدر نفسه، ص8.
- ³⁰-المصدر نفسه، ص93.
- ³¹-المصدر نفسه، ص115.
- ³²-المصدر السابق، ص24.
- ³³-المصدر نفسه، ص117.
- ³⁴-المصدر نفسه، ص93.
- ³⁵-المصدر نفسه، ص7.
- ³⁶-المصدر نفسه، ص(141-142).
- ³⁷-المصدر نفسه، ص129.

قائمة المصادر والمراجع:

مقاربة نقدية سوسيو-ثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة "رواية جيم لسارة النمى أنموذجاً"

المصادر:

1-سارة النمى، جيم، دار الآداب، دط، 2020.

المراجع:

- 1-إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، مجمع اللغة العربية، ط2، دت.
- 2-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.
- 3-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت-لبنان، ط1، 1990.
- 4-أحمد يوسف، القراءة النسقية(سلطة البنية ووهم المحايثة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- 5-شراي هشام، مقدمات لدراسة المجمع العربي، البار المتحدة للنشر، بيروت-لبنان، ط3، 1984.
- 6-عبد الله الغزالي، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء-المغرب، ط3، 2005.
- 7-عز الدين المناصرة، علم الشعر(قراءة مؤنثجية في أدبية الأدب)، دار مجلاوي، عمان، ط1، 2007.
- 8-عز الدين المناصرة، علم التناس والتلاص(نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، الهيئة العامة لقصور الثقافة-القاهرة، ط1، 2011.
- 9-محمد عبد المعبود مرسى، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي "دراسة تحليلية نقدية"، مكتبة العليقي الحديثة، القصب، ط1، 2001.
- 10-محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، دط، دت.
- 11-نادر كاظم، تمثيلات الآخر(صورة السود في التخيل العربي الوسيط)، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004.
- 12-نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب(دراسة معجمية)، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2009.
- 13-يوسف محمود عليات، النقد النسقي(تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.